تقديم

بقلم/

أ.د. وصفي عاشور أبو زيد

رئيس لجنة التزكية والتعليم الشرعي

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،،

فإن الاهتمام بالتعليم الشرعي من الواجبات الكفائية في عصرنا، وكل عصر، وذلك لأهمية هذا النوع من التعليم عامة، وفي واقعنا المعاصر خاصة، فمن رام إحداث نهضة في هذه الأمة لن يمكنه ذلك إلى من خلال عدة مداخل، ومنها مدخل الاهتمام بالتعليم الشرعي الذي نرى بصلاحه وترشيده صلاحا كبيرا في أنحاء كثيرة من الأمة الإسلامية حالا ومآلا.

وإن النشاط العلمي والمعرفي هو أبرز خصوصيات البشر؛ وذلك لأن الله أمد هذا الكائن بقدرات فائقة على الاستكشاف والوصول إلى المجهول. وقد تنوعت الموضوعات التي خاض فيها الإنسان، وحاول أن يؤصل للبحث فيها، ويكشف عن قوانينها، وهو ما افتُتحت المدارس والأكاديميات والجامعات، وأُنشت المعامل والمراكز البحثية، وعُقدت المجالس والحلقات والمؤتمرات العلمية منذ آماد طويلة لتعليمه وتنميته وتخريج الباحثين المختصين فيه.

والاهتمام بالتعليم ومؤسساته عمومًا، والتعليم الجامعي خصوصًا؛ هو اهتمام بحاضر المجتمعات ومستقبلها، واهتمامنا نحن بتدريس العلوم الإسلامية في جامعاتنا خاصة اهتمام بالدين والدنيا؛ اليوم وغدًا وكلَّ يوم؛ لذا وجب أن نعاود النظر – من وقت إلى آخر – في واقع الجامعات في بلادنا، وواقع التدريس الجامعي للعلوم الإسلامية في كل مكان؛ أملا في أن تستقيم مسيرة تدريس هذه العلوم وسائر العلوم، وأن نؤدي واجبنا تجاهها كاملا؛ تحقيقًا لنفع البشرية بأكبر كنز علمي يمكن أن يعثر عليه بشر.

ولقد اهتمت لجنة التزكية والتعليم الشرعي بهذا المجال، وكرست له كثيرا من جهدها، فعقدت له مؤتمرا في الدوحة في أبريل من عام 2016م تناول قضاياه في العالم الإسلامي ورسم طرقا لتطويره والنهضة به، وعقد الاتحاد ندوة في تونس الخضراء بتنظيم وإعداد العلامة د. عبد المجيد النجار جاءت بعنوان: "تفعيل المقاصد في التربية والتعليم" في ديسمبر 2018م، ومؤتمرا آخر في العام 2019م في فرع الاتحاد بتونس عن "التعليم الشرعي"؛ حيث يمثل الاهتمامُ بالتعليم

شطر العمل في اللجنة والاهتمام به رصدا وترقية وتطويرا، والشطر الآخر هو التزكية والعمل على تقديم مقاربة للمسلم المعاصر في هذا المجال.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ محاولة جادة للمشاركة في نقد وتوجيه عملية تدريس العلوم الإسلامية الشرعية بالجامعات؛ سواء بمعالجة بعض القضايا التأسيسية لتطوير هذه العملية؛ مثل: البحث في الصلة بين العلوم، أم بالحديث المباشر عن الواقع والمأمول من تدريس علوم الشريعة في الجامعات.

وقد تضمنت هذه الدراسة أربعة فصول كما يلي:

الأول: الصلة بين العلوم الإسلامية وتأثيره في تدريسها.

الثاني: مقررات تدريس العلوم الإسلامية بين الشرق والغرب.. دراسة نموذجية مقارنة.

الفصل الثالث: مناهج تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات.

ولا نريد أن نطرح ما ورد في الكتاب هنا من مضامين مهمة ونترك هذا للقارئ، وحسبنا أن نقرر أن هذه المعالجة لقضية تدريس العلوم الإسلامية التي قدمها المؤلف تمتاز بالجمع بين الأفكار النظرية والواقع الفعلي؛ فالأولى تضبط الرؤية، والثاني يعالج الواقع الجزئي باقتراح حلول مباشرة له، وكذلك تتميز بأنها تروم أن تجمع لدى الدارسين لتلك العلوم مهارة التعامل الدقيق مع التراث ومهارة التأليف المفيد للواقع المعيش في وقت واحد، كما تميز تناوله باللغة العميقة والمركزة والأسلوب الميسر.

وصاحب هذه الدراسة الجادة والنافعة هو الأستاذ الدكتور نبيل فولي محمد الذي كرس أكثر من عشرين عاما من عمره في العمل الجامعي، وما زال حتى اليوم، ولم يكتفِ بذلك، بل شارك في عدة مؤتمرات دولية خاصة بالتعليم الإسلامي، وله معرفته المباشرة ببعض مؤسسات ومعلّمي التعليم الديني العتيق، وله كذلك مشاركاته المؤثرة في وضع المناهج العلمية وتطويرها لأكثر من مؤسسة علمية، كما شارك في عشرات الندوات والمؤتمرات ذات الصلة، وله مؤلفات يمحو الله بها من الضلال ويثبت بها ما شاء من هدى، مكَّنه ذلك كلُّه من أن تكون دراسته التي بين أيدينا قيمة مضافة في مجالها.

ندعو الله تعالى أن يبارك في أخينا الكريم الجليل د. نبيل، وينفع بجهده وجهاده، وأن يكتب النفع والقبول لهذه الدراسة المهمة: ترشيدا في التعليم الجامعي للعلوم الإسلامية، وتطويرا له، نحو تربية أجيال تعي دورها وتؤمن برسالتها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

كتبه الفقير إلى عفو الله تعالى

وصفي عاشور أبو زيد

اسطنبول في 24 شوال 1443هـ الموافق 25 مايو 2022م.

مقدمة المؤلف

الاهتمام بالتعليم الجامعي هو اهتمام بحاضر المجتمعات ومستقبلها، واهتمامنا نحن بتدريس العلوم الإسلامية في جامعاتنا خاصة اهتمام بالدين والدنيا؛ اليوم وغدًا وكلَّ يوم.[1]

لذا وجب أن نعاود النظر – من وقت إلى آخر – في واقع الجامعات في بلادنا، وواقع التدريس الجامعي للعلوم الإسلامية في كل مكان؛ أملا في أن تستقيم مسيرة تدريس هذه العلوم وسائر العلوم[2]، وأن نؤدي واجبنا تجاهها كاملا؛ تحقيقًا لنفع البشرية بأكبر كنز علمي يمكن أن يعثر عليه بشر.

ولعلنا نلاحظ في مرحلتنا الحالية أن ثراء علومنا التراثية قد لفت إليها نظر كثير من الباحثين في جامعات العالم؛ خاصة في مجالات القانون (الفقه) والسياسة ومقارنة الأديان، دون أن يكون هذا في نطاق العمل الاستشراقي الموجَّه، ومن هنا بذل هؤلاء الباحثون – وإن أصابوا وأخطأوا في نتائجهم كما هو المتوقع في مثل هذه الدراسات – جهودًا كبيرة في الكشف عن حقائق مطموسة تتعلق بعلومنا وعلمائنا.[3]

يحدث هذا الاهتمام العالمي وحال تدريس العلوم الشرعية في جامعاتنا هو ما نعرفه من الركود والضعف الذي تعانيه، حتى إن بعض المدارس الأهلية المتواضعة ربما تخدم علوم العربية والشريعة أفضل من كثير من الكليات الجامعية

([1]) من لطيف الشعر الذي أدرك أهمية التعليم وتأثيره – وإن في جانبه السلبي فقط – ما نقله الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله عن الشاعر الهندي أكبر الإله آبادي رحمه الله من قوله: "يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس الكليات، وقد كان ذلك أسهل طريق لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ"! وفي السياق نفسه نقل الندوي عن الشاعر الفيلسوف محمد إقبال رحمه الله قوله: "إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكوّنها كما يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرًا من أي مادة كيميائية، هو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخًا إلى كوم تراب" أبو الحسن علي الحسني الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ص 178، الطبعة الرابعة، دار القلم – الكويت 1403هـ/ 1983م.

([2]) وينبغي لأهل كل تخصص علمي – مع هذا – إخضاعه لعملية تقييم دوري للتعرف على أوضاعه، ومدى تحقيقه لأهدافه، وطبيعة المسارات التي يتحرك فيها أو يتجه إليها، وهذا معمول في زماننا به في البلاد النشطة علميًا؛ انظر مثلا: دافيد أو سيرز وآخرين (تحرير): المرجع في علم النفس السياسي 1/ 46، ترجمة: ربيع وهبة وآخرين، مراجعة: قدري حفني، العدد (1484)، الطبعة الأولى، المشروع القومي للترجمة – المجلس الأعلى للثقافة – مصر 2010م.

([3]) انظر مثالا فقط على هذا ما كتبه أستاذنا الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي عن كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" للشيخ أبي العباس بن تيمية واهتمام الدراسات الغربية به على صفحته في الفيسبوك بتاريخ 12/ 1/ 2022:

https://www.facebook.com/profile.php?id=100022823648148.

الفخمة، فما بالنا لو كان تدريس هذه العلوم في الجامعات بحال جيدة؛ ألا يكون داعيًا إلى نشأة حركة علمية عالمية تدرس علومنا بما يكشف أصالتها، ويضعها موضع الإفادة الضخمة في الحياة البشرية المعاصرة؟

ونحن لا نريد أن تنشأ مثل هذه الحركة العلمية العالمية لكي نزهو بها على الناس، ونثبت للأمريكي والصيني والإنجليزي والروسي والياباني والفرنسي وغيرهم سبقنا إياهم في مجالات وعلوم كثيرة؛ فهذا عمل سلبي تمامًا، وإنما نسعى إلى أن يكون لهذه المعارف الثرة سهمها في تحريك المياه الراكدة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذلك في تقديم نظرة أخرى للمبادئ والأصول التي تتأسس عليها العلوم والحياة برمتها بخلاف النظرة السائدة في مرحلة ما بعد الحداثة والعولمة والأنظمة العالمية الجديدة والمتجددة!

***

والتدريس عملية مركبة جدًا، ويزداد تركيبها مع العلوم الإسلامية الشرعية؛ لأنها منتج ما زالت مؤلفاته الأهم منتمية إلى التراث الثري الذي تركته لنا الأجيال السابقة طوال مئات كثيرة من السنين. ولا أقصد بهذا التقليلَ مما أنتجه المعاصرون من علماء المسلمين، ولا التمسك بحرفية التراث في كل كبيرة وصغيرة، إلا أن جهود الأجيال السابقة التي أسست العلوم الشرعية، وتطورت على أيديها خلال القرون هي الأهم بلا شك، والجيد مما يكتبه أهل عصرنا في التخصصات الشرعية هي فصول جديدة وأصيلة كذلك تضاف إلى كتب هذه العلوم في واحدة من مراحلها التاريخية المتتابعة.

والتركيب الذي أشرت إليه في تدريس العلوم الشرعية يتمثل في أن انقسام كتب العلم إلى تراثية وحديثة، يفرض علينا أن نجمع لدى الدارسين لتلك العلوم مهارة التعامل الدقيق مع التراث ومهارة التأليف المفيد للواقع المعيش في وقت واحد.

وربما يكون "تقريب التراث"[4] باختصاره أو إعادة عرضه بلغة حديثة مفيدًا، إلا أنه يصب في اتجاه آخر غير إعداد الباحث الجامعي المتميز في العلوم الشرعية، وهو صناعة نوع من الألفة بين المثقف غير المتخصص في العلوم الشرعية والعربية وبين هذه العلوم، وأما الباحث الجامعي، فلن تكفيه هذه المختصرات؛ لأنه لن يكون نحويًا على الحقيقة إلا بأن يكون له نصيب كبير من "كتاب" أبي بشر سيبويه و"مقتضب" أبي العباس المبرد وكتب ابن هشام الأنصاري وغيرهم، كما أن الأصولي لن يكون أصوليا على الحقيقة إلا إذا غاص مع "رسالة" الشافعي و"برهان" الجويني و"مختصر" ابن الحاجب بشروحه، وأمثالها، وعلى هذا قس بقية العلوم.

([4]) من أمثلته تجربة مؤسسة الأهرام المصرية أواخرَ الثمانينيات من القرن الماضي في تقريب التراث بإصدار سلسلة من الكتب المهمة مقربةً إلى القارئ المثقف؛ ك "رسالة" الإمام الشافعي، و"معاني القرآن" للفراء، و"إحياء علوم الدين" للغزالي، وغيرها. وقد أشرف عليها شيخنا الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين تغمده الله برحماته.

كما أن من جوانب تركب عملية تدريس العلوم الإسلامية، أنها لا تسعى إلى تخريج الطالب الذي يفهم جيدا هذا النوع من المعارف فقط، بل تعمل أيضًا على صناعة صُنّاع هذه الثقافة وصُناعِ صناعها في توارث متتابع للمعارف الإسلامية علميًا وسلوكيًا وفق مناهج دقيقة تستفيد مما هو تراثي ومما هو واقعي ومما هو نافع من تجارب شتى الأمم في هذا المجال في وقت واحد.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ محاولة متواضعة للمشاركة في نقد وتوجيه عملية تدريس العلوم الإسلامية الشرعية بالجامعات بعد خبرة للمؤلف في هذا المجال تقارب عقدين؛ سواء بمعالجة بعض القضايا التأسيسية لتطوير هذه العملية؛ مثل: البحث في الصلة بين العلوم، أم بالحديث المباشر عن الواقع والمأمول من تدريس علوم الشريعة في الجامعات.

***

ويتضمن الكتاب أربعة فصول كما يلي:

الأول: الصلة بين العلوم الإسلامية وتأثيره في تدريسها.

الثاني: مقررات تدريس العلوم الإسلامية بين الشرق والغرب.. دراسة نموذجية مقارنة.

الفصل الثالث: مناهج تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات.. دراسة في تكامل المحتوى.

الرابع: المدارس الأهلية وخدمة التعليم الجامعي الشرعي.

ولا يخفى أن هذه تغطية لبعض جوانب الموضوع الكبير فقط؛ إذ إن تأسيس الطالب الجامعي في المراحل الدراسية السابقة — قبل أن يتخصص في دراسة علوم الشريعة – يحتاج إلى بحوث ودراسات، وكذلك إعداد أستاذ العلوم الشرعية وتطوير أدائه، وطرق تدريس هذه العلوم، وكيفية الاستفادة من الوسائل التعليمية الحديثة بدون أن تشوش على الأهداف الأساسية للدراسة الشرعية، وغيرها من مسائل هذا الموضوع التي لم أتطرق إليها في هذا الكتاب، ولعلي أفعل في كتاب آخر في المستقبل إن شاء الله.

والله من وراء القصد، وهو حسبي

المؤلف

إسطنبول – شوال 1443هـ

مايو 2022م